٢١ وجوب العمل بالعلم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون عباد الله. إن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أمرنا بالعمل .

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [التوبة :١٠٥] .

وقال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة :٦٦] . ولا جمال للعلم إلا بالعمل .

قال ابن الوردي -رحمه الله تعالى- في لاميته :

في ازدياد العلم إرغام العدى وجمال العلم إصلاح العمل

وكل عامل سيجد عمله يوم القيامة من خيرٍ أو شر ، قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [آل عمران :٣٠] .

وقد وعد الله من يعمل بدينه وشرعه بالخيرات والبركات قال الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الأعراف :٩٦] .

بل وقد وعد الله -سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- العاملين بالأجر العظيم والثواب الكبير قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾ [الإسراء :٩] .

وقال تعالى: ﴿ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴾ [الكهف :٢] .

والذي لا يعمل بعلمه ليس على شيء من الدين ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [المائدة :٦٨] .

قال سفيان بن عيينة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- : ما في القرآن آية أشد علي من هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- معلقًا على كلام سفيان : يعني أن من لم يعمل بما أنزل الله في كتابه فليس على شيء [١] .

ومن صفات المناقين عدم العمل بالعلم قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [البقرة :٢٠٤-٢٠٦] .

وقد أخرج الإمام الطبراني في معجمه الكبير [٢] ، عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي ، كل منافق عليم اللسان** » وجاء الحديث عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **عند أحمد** . [٣]

---

(١) فتح الباري ج٨ (٢٦٩) .
(٢) معجم الطبراني الكبير ج١٢ (٤١٤٢) برقم (٥٩٣) صحيح الجامع للألباني برقم (٦٩٥) .
(٣) أحمد برقم (١٤٣) .

ورحم الله أيوب السختياني القائل في أهل الحيل والمكر: إنهم يخادعون الله كما يخادعون الصبيان ، ولو أنهم أتوا الأمر على وجهه لكان أهون .

يا ذا الذي يقرأ في كتبه ما أمر الله ولا يعمل

قد بين الرحمن مقت الذي يأمر بالحق ولا يفعل

يقول القاسم بن محمد: أدركت الناس ما يعجبهم القول وإنما يعجبهم العمل .[١]

وقال الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-[٢] : « المؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل » .

وقد سئل حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن المنافق فقال : « الذي يصف الإسلام ولا يعمل به » .[٣]

وما أحسن كلا م علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حينما قال: «بركة العمر حسن العمل » وهكذا كان السلف رحمهم الله تعالى عاملين بعلمهم فهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان من العاملين بالعلم :

ولهذا جاء في البخاري ومسلم[٤] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله - عَزَّوَجَلَّ - ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم « قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها، ولا تكلمت بها ذاكرًا ولا آثرًا » « آثرًا » أي ناقلًا عن غيري.

---

(١) جامع بيان العلم : برقم (١٢٣٥) .
(٢) حلية الأولياء ج٨(٩٨) .
(٣) صفة النفاق وذم المنافقين برقم (٦٥) .
(٤) البخاري برقم (٦٦٤٧) ومسلم برقم (١٦٤٦) .

وهذا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن ». (١)

وهذه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت «يرحم الله نساء المهاجرات الأول ، لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور :٣١] . أخذن أزرهن فشققنها ، من قبل الحواشي فاختمرن بها» . (٢)

ولقد ورد الوعيد الشديد في الذي يقول ولا يعمل قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف :٢-٣] .

والمقت هو أشد البغض عند الله تعالى .

والمقت إنما ورد في حق أصناف من الناس :

١- في الذي ينكح امرأة أبيه قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء :٢٢] .

٢-في الذي يكذب بآيات الله والمجادل بالباطل قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾[غافر:٣٥].

٣-في الذي يقول ولا يعمل كما في الآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف :٢-٣] .

٤- في حق أهل النار قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ

(١) الطبري برقم (٨١) وابن كثير ج١(٧) .
(٢) البخاري برقم (٤٧٥٩٩) .

ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴾ [غافر:١٠].

أستغفر الله من قول بلا عملِ ... لقد نسبت به نسلًا لذي عُقمِ

أمرتك الخير لكن ما ائتمر ت به ... وما استقمت فما قولي لك استقمِ

ولا تزودت قبل الموت نافلةً ... ولم أصلِ سوى فرض ولم أصمِ

وقد قال الله منكرًا على بني إسرائيل بقوله تعالى : ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة:٤٤].

فقوله : ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ ﴾ استفهام إنكاري.

وقوله : ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ استفهام توبيخي .

والذي يقول ولا يفعل مخالف لطريق الرسل قال الله تعالى: عن خطيب الأنبياء شعيب -عليه الصلاة والسلام- ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:٨٨].

ولقد كان إبراهيم النخعي -رحمه الله تعالى- يقول : [1] إني لأكره القصص لثلاث آيات :

١- قوله تعالى : ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[البقرة:٤٤].

(١) تفسير ابن كثير ج (٣٧٨) .

٢-وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف :٢-٣] .

٣- وقوله تعالى إخبارًا عن شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:٨٨].

وجاء في البخاري ومسلم [١] عن أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : سمعت رسول الله ﷺ « يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه »

« يؤتى بالرجل » أي تأتي به الملائكة . وقوله « فيلقى في النار » أي لا يدخلها برفق بل يلقى بشدة وقوة . وقوله « فتندلق أقتاب بطنه » أي تخرج أمعاؤه بسرعة . وقوله «الرحى » أي حجر الطاحون . ومنعى قوله «ولا أتيه » أي ولا أفعله .

عباد الله وفي هذا الحديث تشبيه الذي لا يعمل بعلمه بالحمار، وقد قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة:٥].

وقال تعالى : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ

(١) البخاري برقم (٣٢٦٧) ومسلم برقم (٢٩٨٩) .

أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦].

ولله در من قال [١] :

إن قومًا يأمرونا بالذي لا يفعلونا
لمجانين وإن هم لم يكونوا يُصرعونا

عباد الله يخشى على من لم يعمل بعلمه أنه لا يسلم من عذاب الله يقول الله تعالى: ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [آل عمران:٨٨].

وقد ذم الله النصارى وبيَّن سبحانه أنه صار بينهم من الشرور والفتن والمحن والشقاق والعداوة والنفاق، بسبب أنهم لم يعملوا بعلمهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾[المائدة:١٤].

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ أي نسيانًا علميًا، ونسيانًا عمليًا[٢] .

قال الإمام الأوزاعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: إذا أراد الله بقوم سوءًا أعطاهم الجدل .

---

(١) تفسير القرطبي ج٢(٥٩) .
(٢) تفسير السعدي ج١(٥٢٢) .

ما أقبح التزهيد من واعظ ... يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقًا ... أضحى وأمسى بيته المسجد
إن رفض الدنيا فما باله ... يستمنح الناس ويسترفد
والرزق مقسوم على من ترى ... يناله الأبيض والأسود [١]

عباد الله: جاء في صحيح مسلم [٢] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما من نبي بعثه الله- عَزَّوَجَلَّ- في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن،وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**».

وثبت عند الطبراني في الكبير [٣] عن جندب بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ : « **مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه ، كمثل السراج ، يضيء للناس ويحرق نفسه**» .

قال بعض السلف -رحمهم الله- : « **مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به ، كمثل الإبرة تكسو غيرها وهي عارية** ».

قال الخطيب البغدادي -رحمه الله- في كتابه اقتضاء العلم العمل [٤] :

---

(١) تفسير القرطبي ج٢(٦٠) .
(٢) صحيح مسلم برقم (٥٠) .
(٣) الطبراني في الكبير برقم (١٦٨١) .
(٤) اقتضاء العلم العمل ج١(٣٧). .

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل ... لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل
والعلم زين وتقوى الله زينته ... والمتقون لهم في علمهم شغل
وحجة الله يا ذا العلم بالغة ... لا المكر ينفع فيها لا ولا الحيل
تعلم العلم واعمل ما استطعت به ... لا يلهينك عنه اللهو والجدل
وعلم الناس واقصد نفعهم أبدا ... إياك إياك أن يعتادك الملل
وعظ أخاك برفق عند زلته ... فالعلم يعطف من يعتاضه الزلل
وإن تكن بين قوم لا خلاق لهم ... فأمر عليهم بمعروف إذا جهلوا
فإن عصوك فراجعهم بلا ضجر ... واصبر وصابر ولا يحزنك ما فعلوا
فكل شاة برجليها معلقة ... عليك نفسك إن جاروا وإن عدلوا

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: « أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه،فذنبه من جنس ذنب اليهود ».[1]

وعالم بعلمه لم يعملن ... معذب من قبل عباد الوثن

وقد ثبت في مُسند أبي يعلى[2] عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله : « **أتيت على سماء الدنيا ليلة أسري بي ، فرأيت فيها رجالًا تقطع ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل ما هؤلاء؟، قال: هؤلاء**

(١) الفتاوى الكبرى ج٥(٣٤٢).
(٢) مُسند أبي يعلى برقم (٤١٦٠).

خطباء من أمتك » والمقاريض هي: المقصات .

وفي رواية «...**الذين يقولون ما لا يفعلون** » . (١)

وفي مُسند الدارمي وسُنن الترمذي وغيرهما (٢) عن أبي برزة الأسلمي ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله ﷺ : « **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه** » .

وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : « إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي يا عويمر فأقول لبيك ربي فيقول لي ما عملت فيما علمت » . (٣)

وجاء عند الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- في اقتضاء العلم العمل وحسنه الألباني . (٤)

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « تعلموا تعلموا ، فإذا علمتم فاعملوا » .

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

هتف العلم بالعمل إن أجابه وإلا ارتحل (٥)

وقال آخر:

أيها العالم إياك الزلل واحذر الهفوة فالخطب جلل

---

(١) مُسند البزار برقم (٧٢٣١) .
(٢) سُنن الترمذي برقم (٢٤١٧) والدارمي برقم (٥٣٧).
(٣) البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٧١١) وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١٢٩).
(٤) اقتضاء العلم العمل برقم (١٠).
(٥) حلية طالب العلم ص(١٣-١٤) جامع بيان العلم ج٢(١١).

هـفـوة الـعـلـم مستعظمه إن هفا أصبح في الخلق مثل
وعـــلى زلـــتـــه عـمـدتهـم فـبها يحتج من أخـطأ وزل
لا تـــقل يستر علمي زلتي بل بها يحصل في العلم الخلل
إن تـكـن عـنـدك مستحقرة فهي عنـد الله والـنـاس جـبـل
فـــإذا الشمس بـــدتْ كاسفة وجـل الخلق لها كـل الوجلْ
وترامت نحوها أبـصـارهم في انزعاج واضطراب وزجل
وسر النقص لهـم مـن نقصها فغدتْ مظلمـة منـها السبل
وكـــــذا العـــالم في زلـتـه يفـتن العالـم طـرًا ويُـضـل
فهو ملح الأرض مـا يعلمه إن بـــدا مـنـه فـسـاد وخلل
يـقـدى منـه بـما فيه هفا لا بما استعصهم فيه واستقل

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: [٦] وذهاب الإسلام على أيدي أربعة اصناف من الناس :

١-صنف لا يعملون بما يعلمون .
٢-صنف يعملون ولا يعلمون .
٣-صنف لا يعملون و لا يعلمون.
٤- صنف يمنعون الناس من التعليم .

(٦) مفتاح دار السعادة ج١(٤٩٠) .

وهناك اسباب تعين العامل على العمل :

١-زيادة الإيمان .

٢- مجاهدة النفس .

٣-تذكر العبد الوقوف بين يدي الله :وفي سُنن الترمذي [١] عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه** » .

٤- الدعاء : وقد بوب له الإمام ابن ماجه -رَحِمَهُ اللَّهُ- في سُننه [٢] باب «الانتفاع بالعلم والعمل به » وذكر أحاديث منها ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول : « **اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علمًا، والحمد لله على كل حال** » . [٣]

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه [٤] عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول ﷺ الله يقول : « **كان يقول اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها** » .

قال الحسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- : لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء » .

وقال مالك دينار -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- « إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلتّ

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٤١٧) .
(٢) سُنن ابن ماجه ج١(٩٢) .
(٣) سُنن ابن ماجه برقم (٢٥١) .
(٤) صحيح مسلم برقم (٢٧٢٢) .

موعظته عن القلوب ، كما يزل القطر عن الصفاء » . [١]

وقد ذكروا أنه كان نقش خاتم الحسين بن علي علمت فاعمل .

أقول ما سمعتم ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ، من كل ذنب وأتوب اليه.

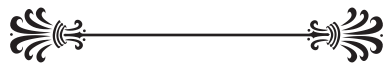

(١) جامع بيان العلم وفضله برقم (١٢٥٥) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي فقه من أراد به خيرًا في الدين ، ورفع منازل العلماء العاملين فوق العالمين ، وأشهد إلا الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين ، وحجة على العباد أجمعين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فيا أيها المسلمون لقد أخبرنا نبينا محمد ﷺ أن من علامات الساعة أن يقل العمل بالعلم .

فقد ثبت في الصحيحين [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **يتقارب الزمان، وينقص العمل ويلقى الشح ويكثر الهرج** » ، قالوا ما الهرج ؟قال : « **القتل، القتل** » .

إن عملت فالقرآن حجة لك وإن لم تعمل به فهو حجة عليك، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه [٢] عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يقول : « **الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها** » .

معاشر المسلمين: العمل بالعلم من أعظم اسباب النجاة من عذاب

(١) البخاري برقم (٦٠٣٧) ومسلم برقم (١٥٧) في كتاب العلم .
(٢) مسلم برقم (٢٢٣) .

الله في الدنيا والآخرة ، ومن أسباب الثبات على الكتاب والسُّنَّة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- : فإن العمل بموجب العلم يثبته ويقرره ومخالفته تضعفه؛بل قد تذهبه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف :٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام :١١٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء :٦٦] .

وقال بعض السلف : « من عمل بما علم ، أورثه الله علم ما لم يكن يعلم ».

وكيف تحب أن تدعى حكيمًا وأنت لكل ما تهوى ركوب

وتضحك دائبًا ظهرًا لبطن وتذكر ما عملت فلا تتوبُ

ومن اعظم الأسباب المعينة للعبد على العمل بالعلم مجاهدة النفس على طاعة الله ومرضاته قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت :٦٩] .

ومن اعظم الأسباب أيضًا نشر العلم والدعوة إليه :فقد أخرج الطبراني في الأوسط [١] عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال : «**مثل الذي يتعلم العلم ولا يحدث به ، كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه** » .

(١) الطبراني في الأوسط برقم (٦٨٩) الصحيحة برقم (٣٤٧٩) .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- [١] : « من خزن علمه ولم ينشره ولم يعلمه ابتلاه الله بنسيانه وذهابه منه جزاء من جنس عمله، وهذا أمر يشهد به الحس والوجود ».

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال أبو العتاهية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- : [٢]

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى وريح الخطايا من ثيابك تسطع

ولم تعن بالأمر الذي هو واجب وكل امرئ يعنى بما يتوقع

ولا يعني هذا أن الإنسان إذا كان مقصرًا أو مفرطًا ، أنه لا يعظ الناس وأنه لا يأمرهم بالمعروف ولا ينهاهم عن المنكر، بحجة أنه ليس عاملًا بما يقول : فيترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر لهذا السبب .

لئن لم يعظ العاصين من هو مذنب فمن يعظ العاصين بعد محمد

وقال آخر :

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

حتى قال بعض السلف :حق على شاربي الكؤوس أن يعظ بعضهم بعضًا ، بل إنه إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ولو كان عنده تفريط فقد يكون ذلك التفريط حاملًا له للعمل بالعلم ، وإلا فقد دل على الخير بإذن الله تعالى :

(١) مفتاح دار السعادة ج١(١٧٢).
(٢) جامع بيان العلم وفضله ج١(٥٤٢).

وفقنا الله وإياكم في القول والعمل ، وجنبنا وإياكم الخطأ والزلل ، وجعلنا جميعًا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين إنه جواد كريم رب رحيم.

والحمد لله رب العالمين .